11me Année No. 501

Lundi - 7 - 2 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٠١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢ صفر سنة ١٣٦٢ — الموافق ٧ فبراير سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة		
١٠١	بين الأخوة	أحمد حسن الزيات . . .
١٠٣	هل أدت الجامعة رسالتها ؟	الدكتور زكي مبارك ...
١٠٧	الحكم الذاتى فى المدرسة	الأستاذ السيد يعقوب بكر ...
١٠٩	من أزهار الشر	للشاعر « شارل بودلير » . . بقلم الأستاذ عثمان على عسل
١١٠	الحضارات القديمة فى القرآن	الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
١١٢	ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربية	الأستاذ عيسى محمود ناصر ...
١١٥	السيطرة على الجو	الأديب عبد المنعم محمد الزبادى
١١٧	عاطفة الأبوة فى « أعاصير مغرب »	الأستاذ إدوارد حنا سعد ...
٢١٨	على الشاطئ [قصيدة] ...	الأديب إبراهيم محمد نجا ...
١١٩	أين « الرسالة » ؟ ...	الأديب عبد المعطى المسيرى
١١٩	حول رسالة الجامعة ...	الأديب أحمد الشرباصى . .
١١٩	جامعة الأسكندرية ...	الأستاذ أبو الفتوح عطيفة ...
١٢٠	إجابة	الأستاذ الكبير « وحيد »
١٢٠	أين السليط من السالاد . .	الأستاذ محمود عزت عرفة ...
	المسرح والسينما	الأديب عبد الفتاح متولى غبن

فى السياسة القومية

بين الأخـــوة ...

أسرتان أختان ورثتا أمجاد الدهر، ورفعتا أركان الحضارة، وعاشتا على النعماء والبأساء ثلاثة عشر قرناً يظلهما وطن كريم، ويغذوهما نهر فياض، وترعاهما شريعة سمحة، وتربط بينهما أواصر خالدة من صلة القربى، وحرمة الجوار، ووحدة المنفعة، لا يجوز أن يعبث بوحدتهما المقدسة عابث لنزوة غضب أو شهوة خلاف.

تلك كانت كلمتى لصديقى ف . ب ، وهو من سراة الأقباط الذين اعتقدوا مبادئ الوفد منذ وضعها الزعيم العظيم سعد؛ قلتها له حين أنكرت فى بعض حديثه معنى من معانى العصبية المفرّقة التى ماتت ألفاظها فى لغتنا المصرية منذ طويل. وكان صديقى هذا إلى يوم قريب لساناً من ألسنة الوفد، يؤمن برسالته، ويخلص لسياسته، ويخضع لزعامته، ويعتقد أن مبادئه هى الدّين المشترك الذى تصلح عليه الأمة، وتتحقق به المساواة، وتشرق فيه العدالة، ويطَّهر به الدم المصرى من جراثيم الفرقة فلا يكون لابن النيل إلا وصف واحد يُشتق من مصريته، لا من عقيدته ولا من عنصريته. فما هو إلا أن غضب من رجال الوفد غاضب ينتمى إليه حتى أصبحت مبادئ الوفد كفراً، وسياسته غدراً،

وزعامته فخراً ، وحكمه محاباة ؛ وحتى صار الخلاف بين رجل ورجل ، خلافاً بين عنصر وعنصر ، وبين دين ودين ، وبين كثرة وقلة سوى بينهما الفضل لا العدل ، فلم يعد هناك كثرة ولا قلة ، ولا عزة ولا ذلة ، ولا قرابة ولا بعد

أهكذا يا صديقي نحكم الهوى في الرأي ، وننصر العصبية على الوطنية ، ونصدع ما أراد سعد أن يرأب ، ونقطع ما أمر الله أن يوصل ؟ إن كان لم يقنعك ما قلت ، فإني لأرجو أن يقنعك ما أكتب :

إن توحيد الأمة معنى من توحيد الله لا يوسوس بتوهينه في الصدور إلا شيطان . وإن هذا الشعب المفطور على السماحة والوداعة والألفة ، لم يسجل عليه تاريخه الطويل أن بعضه تعصب على بعضه إلا بمكر الدخيل أو غدر الخائن . وإن الإسلام الذي يرتع في ظلاله اليهودي المضطهد ، والأرمني المبعد ، والروسي المهاجر ، والأوربي المستعمر ، لا يمكن أن يكون مصدر شقاق بين عنصرين شقيقين خلقا من طينة واحدة ، ونبتا في مغرس واحد . وإذا جاز للأجنبي أن يعكر الماء ليصيد ، ويفرق الأهواء ليستفيد ، فلا يجوز للوطني البر أن يمزق الوحدة لينتقم ، ويوقظ العصبية ليغلب !

لقد كان التمييز بين المصري وأخيه بالإسلامية والقبطية ، أو « بالأكثرية والأقلية » ، أثراً من آثار الحكم الجاهل ، أو أداة من أدوات الاستعمار اللئيم . ومصداق ذلك أن الأمر لم يكد يصير في أهله حتى امحت الفروق ، وشاعت الحقوق ، وتعانق الهلال والصليب ، وتآخى الشيخ والقس ، وماتت الصحافة الطائفية ، وأصبح المصريون أمة واحدة تجد فيها المسلم والقبطي ، كما تجد الوفدي والدستوري ، ولكنك لا تجد للعقيدة الدينية أو النحلة السياسية أثراً سيئاً في علاقة خاصة أو معاملة عامة . وبهذه الوحدة المقدسة تميزت مصر على أمم الشرق ، وقدمت إليهن مثلاً عالياً في الوطنية الصادقة والسياسة الحكيمة

إن تقسيم الناس على عدد الأديان والألوان خلق من أخلاق الجاهلية لا تزال الإنسانية تقاسي ما ورثت من عقابيله . وإن استغلال هذه المعاني اليوم في تحقيق غرض من أغراض السياسة وسيلة مكيافيلية لا يطمئن عليها ضميري . وإن زعمك يا صديقي أن غضب الأسرة لغضب واحد منها نزعة في أصل الطبع لا حيلة فيها ، يكون له مساغ في العقل إذا كان الغضب لها والخلاف من أجلها ، أما إذا كان الشقاق والانشقاق لخلاف في السياسة العامة ، فإن في مغالبة فريق بفريق ، وموائبة عنصر بعنصر ، دليلاً على نية سوء لا يصلح صاحبها أن يكون زعيماً يطاع ولا إماماً يتبع .

* * *

لا يا صديقي ! لم تكن فكرة التميز والتحيز في عهد من العهود سبيلاً إلى مصلحة الوطن ؛ فإن تقسيم الحقوق والواجبات على مقتضى النسبة العددية شديد على الفريق الأقل . وإن انقسام الأمة إلى فريقين متعارضين ، خليق بما يحمل من معاني الأثرة والتعصب أن يوقع الوحشة بين الإخوة فلا يجمعهم ظل ولا تدنيهم مودة

لك يا صديقي ولجميع الناس أن تختلفوا وتختصموا ؛ ولكن عليك وعلى جميع الناس أن تراعوا جانب الحق في الخلاف ، وتؤثروا سلاح الحق في الخصومة . وما دمت من رجال السياسة وطلاب الحكم فيجب أن يكون رأيك للجماعة وسعيك للجميع . أما أن تفرق لتسود ، وتقسم لتقود ، فذلك جرم وطني لا تسعه مغفرة

إتقوا الله في الوطن يا صديقي ، ولا تفتحوا عليه باب الفرقة فإنه باب ظاهره فيه الخراب ، وباطنه من قبله العذاب

لا تقولوا نحن وأنتم ، ولا فعلنا وفعلتم ؛ فإنها من بقايا الجمل التي كان يلقيها علينا الأجنبي فنمضغها مضغ الجيف ، ثم لا يأمن بها عيش ولا يسمن عليها بدن

نحن وأنتم إخوة توشج ما بيننا من صلات النسب على طول القرون . فإذا قيل لكم إنكم طائفة في أمة ، وذمة في دين ، وعصبية في حزب ، فادفعوا هذا القول الظنين بمنطق الوطني المؤمن ، واربأوا بأنفسكم أن تكونوا مطايا ذللاً لأصحاب المطامع يتقحمون بكم مزالق السياسة . واذكروا أن أثمن ما غنمناه من جهادنا الطويل هو توحيد الأمة ، وأن توحيد الأمة كما قلت معنى من توحيد الله لا يوسوس بتوهينه في الصدور إلا شيطان

أحمد حسن الزيات

هل أدت الجامعة رسالتها ؟

للدكتور زكي مبارك

أخي الأستاذ الزيات

في عصرية السبت الماضي أقيمت مناظرة في كلية الآداب أريد بها تحديد المدى الذي وصلت إليه الجامعة في تأدية رسالتها العلمية والأدبية والاجتماعية ، واشترك في المناظرة طالب وطالبة ، واثنان من الخريجين ، واثنان من المدرسين ، وقد دامت المناظرة نحو ثلاث ساعات ، وحضرها جماهير من بيئات مختلفات ، ولم يقع فيها ما يسوء برغم العنف الذي ثار تصريحاً أو تلميحاً بين المؤيدين والمعارضين . ومع أني كنت أؤيد الرأى فقد راعتني الحجج التي قدمها من عارضوني ، لأن أحدهم وهو الأستاذ حسين دياب حضر ومعه عددان من مجلة (الرسالة) فيهما كلمات تشهد بأني قلت مرتين بأن الجامعة لم تؤد رسالتها على الوجه المنشود

كانت كلمتي مكتوبة ، ولكني اختصرتها لضيق الوقت ، فتجمع الحاضرون حولي عند الانصراف ، ورجوني أن أنشرها في « الرسالة » كاملة ليقرأوا ما فاتهم أن يسمعوه ، فأنا أقدمها إلى « الرسالة » تحقيقاً لذلك الرجاء النبيل

وتكميلاً للغرض أسوق الملاحظات الآتية :

١ — أجمع المعارضون أن الصلة بين الجامعة وخريجيها منقطعة تمام الانقطاع ، وأن الجامعة لا تعرف غير من تراهم من الطلبة والمدرسين . ولو كانت الجامعة أدت رسالتها لكان من الواجب أن تهيئ لأبنائها القدماء فرصة التلاق في رحابها في كل عام مرة أو مرتين

٢ — كان اللحن الفظيع يغلب على بعض المعارضين ، وكان الجمهور يقابل اللحن بالضجيج ، وقد اعتذر أحد المعارضين بأن لحنه من الشواهد على أن الجامعة لم تؤد رسالتها ، فكان ألطف اعتذار في التاريخ الحديث !

٣ — وردت في خطبتي كلمة موجهة إلى العميد ، فأسرع بعض المدرسين ليسر في أذني كلاماً يرجوني فيه ألا أحرج العميد وكان الظن أن يدركوا أن العميد أقوى مما يظنون ؟

٤ — كان اثنان من المدرسين المشتركين في المناظرة يقلدان الدكتور طه حسين في التعابير وفي مخارج الحروف ، وهذا دليل على ضعف الشخصية ، فأنا أحب أن يكون لكل خطيب وجود خاص

٥ — المنطق قد انعدم في بعض أقوال المعارضين ، فقد توهم أحدهم أن الجامعة لا تؤدي رسالتها إلا إذا عمل خريجوها بالمجان في جميع الميادين ، ونص بالحرف على أن الأطباء في المستشفيات يتناولون مرتبات ، وهذا في رأيه ينافي الروح الجامعية

٦ — الألفاظ كانت فضفاضة عند بعض الخطباء حتى كدت أحس أن المناظرة لا تدور في الدرج الأكبر بكلية الآداب !

٧ — كان أحد الخطباء يوهمنا أنه يرتجل مع أنه حفظ خطبته عن ظهر قلب !

٨ — حدثنا أحد المعارضين عن تقاليد الجامعات الأوربية بكلام هو غاية العجب ، مع أن عينه لم تكتحل برؤية جامعة أوربية ، كما قال أحد المؤيدين ، فمن أين استقى هذا المدرس الفضال معلوماته المبعثرة عن تقاليد الجامعات الاوربية ؟

٩ — الأديب سعيد محروس كان يقلد الخطيب محمد شكري في الإشارات والنبرات ، وهذا دليل على أن الروح لا يموت ، فقد كان محمد شكري أظهر خطباء الثورة ، ثم انهزم لأنه عجز عن مسايرة الأحزاب

١٠ — الآنسة كوثر عبد السلام أجادت في المعاني ، ولكنها عقت النحو عقوقاً لا يطاق . فذكرتنا بقول أحد الشعراء :

منطق صائب وتلحن أحيا نا وأحلى الحديث ما كان لحنا

١١ — حضر الأميرالاى على حلمي لشهود المناظرة ، وفي الطريق إلى المدرج لقينا الدكتور محمود عزمي ، فقال له سعادة الأميرالاى : لعلك حضرت لنفس الغرض ! فقال الأستاذ محمود عزمي : إن عندي حصتين في معهد الصحافة . فقلت : هات تلاميذك ليشهدوا المناظرة ، فقد يختزنون مناظر تنفع في حياتهم الصحفية ، فاعتذر بلطف وانصرف

هذه هي الصحافة التي تعرفها كلية الآداب ، صحافة نظرية لا عملية ، صحافة تأخذ وقودها من التاريخ لا من الحياة ، صحافة

تنكر الرحلات من حجرة إلى حجرة فى مكان محدود ، مع أن من واجب الصحفى أن يرتحل من قطب الشمال إلى قطب الجنوب

أما بعد فأنا آسف على ما أثبت فى خطبتى من أن كلية الآداب خدمت الصحافة بانشاء معهد الصحافة ، ولن أمحو ما أثبت ، لأنى لا أريد التسجيل ، وإنما أريد الإيحاء

ولم يبق إلا أن يتفضل أخى الاستاذ الزيات فينشر خطبتى بالحرف ، مع الرجاء فى أن يتذكر أنى لم أثن على الجامعة المصرية بغير الحق ، رفع الله دعائمها إلى الأبد ، وجعلها منارة باقية إلى آخر الزمان .

* * *

أيهـا السادة (١)

حين دُعيت للمناظرة فى هذا الموضوع الطريف قلت لنفسى : إن لجنة المناظرات بكلية الآداب هبط عليها الوحى من حيث لا تحتسب ولا تعرف ، فإن هذا الوقت هو أنسب الأوقات لوزن أعمال جامعة فؤاد الأول . ألم تسمعوا بأن الاحتفال الرسمى بافتتاح جامعة فاروق الأول سيكون فى الأسبوع المقبل ؟

إن فى ذلك لفرصة لوزن ما للجامعة القاهرة وما عليها بالعدل والقسطاس ، وهو أيضاً توجيه لجامعة الاسكندرية ، فما أظنها تكره أن نمدَّ إليها يد الرفق ، لنعاونها على مصارعة الأمواج ، وهى فى بلد الأثباج

وكان المنتظر أن أكون فى الصف الذى ينكر أن تكون الجامعة قد أدت رسالتها ، ولكن لجنة المناظرات رأت أن قوتى فى الهجوم ، فبخلت باعطائى فرصة جديدة أرفع فيها العَلَم لقلمى وبيانى ، فى المكان الذى صاولت فيه كبار الرجال ، بغير تهيب لعواقب الصيال

أو لعلها أرادت أن أشهد علانية بتمجيد الجامعة بعد أن حاربت من حاربت من رجالها الأبطال . إن كان ذلك ما أرادت فلن تنال ما تريد ، لأن من رسالة الجامعة أن تروض أبناءها على الخلاف ، ونحن نختلف أقل مما يجب ، ويا ويلنا إذا لم نختلف !

فلا تحسبونى أغمدت القلم الذى أعددته لمصاولة زملائى ، ولا تتوهموا أنى سأعفى الجامعة من النقد الصريح ، يوم أراها تقع فيما يوجب الانتقاد ، فأنا أومن بأن الحرب حياة وبأن الصلح موت ، وأنا الذى قال حين تنادى رجال الأقلام إلى الوفاق :

دعوتم إلى وأد الخلاف فحاذروا عواقب حِلف خيرُ آثاره الختل
دُعوا الصلح للأموات فهو غذاؤهم هنيئاً لهم ذاك المكان الذى حلُّوا
ألاَ هل سمعتم أن قبراً تحركتْ حجارته فانزاح من فوقه الثِّقْلُ
يجوز لقوم غيرِنا أن يؤلفوا عصائب يحميها من النكثة الفتل
ونحن رجالٌ سرُّنا فى خلافنا وقوَّتنا العلياهى الفتك والصول
تآخى الظباء الرُّود رمزٌ لضعفها وهل تعرف الآساد ما الجمع والشمل

أيهـا السادة :

أتذكرون المناظرة التى اشتركت فيها بهذا المكان منذ سنتين أو ثلاث ؟

لقد جئت وبيمينى صحائف مكتوبة ، لآمن التزيد الذى يستبيحه بعض المتناظرين ، رغبة فى كسب الأصوات ، أو طمعاً فى التغلب على مفكر لا يعتزّ بغير العقل والبيان

وقد رأيت أن ألقاكم بصحائف مكتوبة ، مع أن مقامى هذا لا يحتاج إلى احتراس ، بعد أن أعفتنى لجنة المناظرات من النضال حين خصَّتنى بالجانب الأقوى فى مناظرة هـذا المساء ، فاعرفوا أنى قيدت كلامى ، لأنى سألقيه فى أحد مدرجات الجامعة ، والجامعة لا ترضى لأبنائها أن يتركوا الأوابد بلا قيود

ولكن كيف أخاف الإسراف فى إبراز محامد الجامعة ، وليس فى الخير إسراف ؟

الجامعة هى كل ما غنمنا من جهاد الأعوام التى أربت على الستين فى مقاومة الاحتلال

الجامعة هى صوت مصر فى الشرق ، وقد اختارت الضفة الغربية من النيل رمزاً لما تسمو إليه من نقل عقل الغرب إلى روح الشرق

إن الجانب الذى سأتحدث عنه هو الجانب الأقوى ، ولكنه مزعج ، لأنه سيقهرنى على مواجهة مشكلة من أصعب المشكلات ، وهى توضيح الواضحات ، وهل ينكر أحدٌ أن الجامعة أدت

(١) من هنا تبتدئ الخطبة التى ألقى جزء منها فى المناظرة ، بلا تبديل ولا تعديل

رسالتها قبل أن يولد بعض مناظرىّ فى هذا المساء ؟

لم تكن للجامعة رسالة واحدة، وإنما كانت لها رسالات، وإليكم يساق الحديث :

كانت رسالتها الأولى أن تختبر العزائم والقلوب، لتعرف استعداد الأمة للتحليق فى الجواء العالية، يوم كان جماعة من خلق الله يقولون : إن السياسة الحكيمة للتعليم هى إعداد موظفين مصقولين . ونحن نعرف المراد من ذلك الصقل، فقد كان الغرض أن يكون عندنا موظفون لا يقولون « لا » ولو فى التشهد !!

وقد كان المظنون أن تخفق الجامعة فى تأدية تلك الرسالة، فقد كان الأمر يومئذ إلى حكومة مصقولة، حكومة تستهدى الاحتلال فى حل بعض المعضلات، وكان الاحتلال يرى أن مصر تحتاج إلى كتاتيب لا إلى جامعات

فهل أفلحت الجامعة فى إيقاظ الروح القومى لتشعر المحتلين بأن مصر شبّت عن الطوق، وانتهت من أبجديات الكتاتيب ؟

هو ذلك، فقد أقبلت الأمة على تأييد الجامعة إقبالاً منقطع النظير، إقبالاً يشهد بأن فى الجسم الوهين عروقاً نابضات، وأن مصر علّمت فلاسفة الإغريق والرومان فى العصر القديم ستكون موئلاً علمياً لليونان والطليان فى العصر الحديث

تلك الرسالة الأولى، فما الرسالة الثانية ؟

كانت الرسالة الثانية أن تجد الجامعة طلاباً يسمون للظفر بإجازات علمية، لا تعترف بها الحكومة المصرية، طلاباً لا أمل لهم فى الوظائف والمناصب، ولا حظ لهم غير التشرف بخدمة الدراسات العالية، فى زمن كان فيه تراب الوظيفة أثمن من التبر المسبوك، وأروع من خيوط الضياء

وذلك عهد عرفته بدمى وروحى، وعرفه معى زملاء من أبناء الجامعة فى عهدها الأول ... كنا يتامى، وكان اليُتم المضطهد بعض ما ورثنا عن الأنبياء

لم يكن للجامعة ماضٍ تستند إليه، فقد سبقتها المدارس العالية بعشرات السنين، وسبقها الأزهر بعشرات القرون، ولم يكن لنا إخوان فى أى ديوان، فقد عشنا حيناً غرباء، وكان من حق أى مخلوق أن يسخر منا كيف شاء، والحر فى وطنه غريب

لقد حملنا أعباءنا الثقيلة بلا ظهير ولا معين، ورحبنا بالمكاره السود، لنقنع الأمة بأن عندنا رسالة لم يحملها أحد من قبل، وهى رفع راية الفكر الصادق والقلم البليغ

فى ذلك العهد كنا نسمع أن علوى باشا يطوف على الوزارات عساه يجد أمكنة للعائدين الفائزين من بعثات الجامعة المصرية، وكنا نسمع أنه يجاب بأن « الحكومة ستنظر فى الأمر » وهى عبارة ديوانية معناها أن الحكومة السنية لا تعرف من أعضاء البعثات إلا من تنفق عليهم من مالها الخاص، كأن الجامعة كفرت حين عاونت الحكومة على تثقيف بعض أبناء الجيل الجديد !!

وحكومة مصر كما تعرفون تجهل أقدار الذين يعفونها من النفقات عند الرغبة فى التزود من الجامعات الأوربية والأمريكية لأغراض مردُّها حب السيطرة على العلم والعلماء

فهل جزعنا فيئسنا ؟

هيهات، ثم هيهات، فقد رحبنا بالجهاد فى مناصب الجامعة بعنفوان أقوى من عنفوان الزمان، وقد انتصرنا على الحكومة، وعلى الزمان

تلك الرسالة الثانية، فما الرسالة الثالثة ؟

كان للجامعة وحىٌ يغزو القلوب والعقول، وقد تسامى إلى غرض أعجب وأغرب، وهو إنطاق الصخر الجلمود، فقد أقنع الحكومة بأنْ لا بد من إنشاء جامعة فى الوطن الذى سبق جميع الأوطان إلى إنشاء الجامعات، فتألفت لجنة حكومية عقدت فى أربع سنين جلسات تفوق الثمانين، لتقول فى النهاية بتسمية المدارس العالية كليات، وبعض أنصار الحكومة فى ذلك العهد كانوا يعرفون الأسماء ويجهلون المسميات

وحى الجامعة كان الوحى الصادق، فقد انسحبت الحكومة من الميدان بعد اليأس، وبقيت الجامعة تصنع بأحلام الشباب وقلوبهم وعقولهم ما تريد

فى تلكم الأيام كان أبناء الجامعة يقتحمون الميادين العلمية والأدبية، وكانوا يقيمون البراهين الصوادق على أن فكرة الجامعة لن تموت، ولو قامت فى طريقها ملايين العقبات

تلك الرسالة الثالثة

أيها السادة :

قبل أن أواجه العهد الثانى من عهود الجامعة المصرية ، العهد الذى ابتدأ فى سنة ١٩٢٥ ، وهو العهد الأرحب والأخصب ، أرى من الواجب أن أجمل القول فى العهد الأول ، بصورة تشعركم بقيمة الرسالات التى أدتها فى ذلك العهد

كان للجامعة مبعوثون إلى الجامعات الأوروبية من أمثال منصور فهمى ، ومحمود عزمى ، وصادق جوهر ، وأحمد ضيف . ولا ينكر أحدٌ أن مبعوثى الجامعة كانوا أقوى من مبعوثى الحكومة . وكانوا أقدر على النضال فى الميادين العلمية والأدبية والاجتماعية ، وأنا فى هذا المقام أضرب الأمثال ، ولا أحاول الاستقصاء

وكان للجامعة فى ذلك العهد أبناء تثقفهم فى دارها من أمثال : طه حسين وكمال حلمى وفريد رفاعى وتوفيق المرعشلى وأحمد البيلى وحسن إبراهيم وعبد الوهاب عزام ومحمد إبراهيم الجزيرى ، فماذا صنع هؤلاء ؟

لن أتحدث عن جهودهم بالتفصيل ، فأنتم تعرفون من جهودهم أكثر مما أعرف ، ويكفى أن أؤيد رأيى بشاهد واحد يصور لكم بعض ما صنعت الجامعة فى ذلك الحين

فى سنة ١٩١٤ تخرج أول دكتور من الجامعة المصرية ، وهو الدكتور طه حسين ، وقد قدّم لامتحان الدكتوراه رسالة سماها « ذكرى أبى العلاء » ، رسالة ظنها الناس تأليفاً كسائر التآليف ، ولكنها أدهشتهم حين طُبعت ، فقد رأوا أن للجامعة نفَساً أطيب من سائر الأنفاس ، وأدركوا أن الجامعة تخلق أبناءها خلقاً جديداً ، وأن لها رسالة جديدة ، وأنها مصباحٌ سينذّ ما سلف من المصابيح

ولم تكن رسالة الدكتور طه مثالاً يحتذيه طلبة الجامعة فحسبُ ، وإنما امتد أثرها إلى آفاق بعيدة من أقطار الشرق

وقد قدّم الدكتور طه بعد ذلك بأعوام رسالة إلى جامعة باريس عن ابن خلدون ، ولكنها ليست فى قوة الرسالة التى قدمها إلى الجامعة المصرية عن أبى العلاء ، فكان هذا برهاناً على أصالة الجامعة المصرية فى تثقيف الأذواق والعقول

ثم ماذا ؟

ثم نظرت الجامعة فرأت الحكومة تخنق التعليم فى المعاهد العالية ، فأنشأت قسم الحقوق فى أعوام عجاف ، هى أعوام الحرب الماضية ، وكانت النتيجة أن تعترف الحكومة نفسها بأن أبناء الجامعة المضطهدة أقدر من أبنائها على الظفر بالدرجات العالية .

وفى ذلك العهد كانت دار الجامعة هى الموئل لكبريات الحفلات ، ففيها أقيم الاحتفال بذكرى الشيخ محمد عبده ، مع أن الأزهر لم يحتفل بتأبين ذلك الإمام الجليل . وفيها احتُفل بتأبين فتحى باشا زغلول وعثمان باشا غالب ، وفيها احتُفل بذكرى رينان ، وفيها ألقيت عمرية حافظ إبراهيم وعلوية محمد عبد المطلب ، وعلوية عبد الحليم المصرى

وفى ذلك العهد ... ماذا وقع فى ذلك العهد ؟

كان مجلس الجامعة المصرية ينتظم أكابر المصريين ، وكان هو المكان الوحيد الذى يجتمع فيه أولئك الأكابر فى أمان من الرقباء ، وفيه تألف الوفد المصرى برياسة الزعيم سعد زغلول .

ألا تكون هذه الناحية الخطيرة جانباً من رسالة الجامعة فى عهدها الأول ؟

زكى مبارك

في التربية الديمقراطية

الحكم الذاتي في المدرسة (*)

للأستاذ السيد يعقوب بكر

سوف لا نعرض في هذا البحث للتجارب التي أُجريت في هذه المسألة؛ فإن هذه التجارب كثيرة كثرة لا نستطيع معها حصرها في بحث مثل هذا البحث؛ وهي كذلك ذات صبغة بيئيّة إن صحّ هذا التعبير، فهناك تجارب إنجليزية وتجارب أمريكية وتجارب أسترالية وتجارب فرنسية، وطبيعي أن هذه التجارب لا تهمنا كمصريين لهم بيئتهم الخاصة وتعليمهم الخاص الذي توحي به هذه البيئة؛ هذا إلى أن من هذه التجارب ما كان مسرحه المدرسة الابتدائية وما كان مسرحه المدرسة الثانوية وما كان مسرحه الجامعة، وواضح أن هذه التجارب لا تصلح لمدارسنا وجامعاتنا لسبب بسيط جداً وهو أن مدارسنا وجامعاتنا تختلف عن تلك المدارس والجامعات الأجنبية التي جعلت مسارح تُجرى عليها تجارب الحكم الذاتي؛ كذلك أجريت تجارب في الحكم الذاتي على التلاميذ الذين لم يبلغوا سن البلوغ والمراهقة preadolescents وعلى الطلبة الذين بلغوا هذه السن adolescents، وهنا أيضاً لا نستطيع تطبيق هذه التجارب على من لم يبلغ هذه السن من تلاميذنا وعلى من بلغها لسبب بسيط جداً أيضاً، وهو أن هؤلاء يختلفون اختلافاً كبيراً عن نظرائهم في البلاد الغربية.

وإذن فلن نعرض لهذه التجارب التي أجريت في الحكم الذاتي. وإنما سنعرض فقط للمبادئ العامة التي تسيطر على هذا الموضوع.

* * *

وأول ما نفعله في هذا الصدد أن نبين مكان الحكم الذاتي من التأديب discipline.

فنحن نعرف أن الأستاذ مكمان McMunn يقسم تطور التأديب من حيث البعد عن الحرية أو القرب منها إلى ثلاث مراحل متتابعة: مرحلة الإرهاب Phlebotomism، ومرحلة التأثير بالشخصية Impressionism، ومرحلة التحرر Emancipationism.

في المرحلة الأولى كان المعول على القوة وحدها، وكانت العصا هي أداة التفاهم الوحيدة بين المعلم والتلميذ.

وفي المرحلة الثانية – وهي مرحلة انتقال من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثالثة – هذب المربون من حاشيتهم ورققوا من جفوتهم وإن لم يزودوا تلاميذهم بعد بالحرية الكاملة التي يتطلعون إليها والتي هي في الحق من حقهم.

أما المرحلة الثالثة؛ فهي التي تمثلها المدرسة الحديثة في التربية وهذه المدرسة ترمي إلى تزويد التلميذ بحرية خالصة من كل قيد؛ ويجب أن تكون حرية التلميذ هذه إيجابية لا سلبية، فيجب – كما يقول السير روبرت بادن باول – أن يشجع التلميذ على أن يعمل ما يحب كما يحب وإن أدى به هذا إلى الخطأ، فبهذه الطريقة وحدها يمكنه أن يكتسب خبرة في هذه الحياة

والأستاذ ماك مان McMunn يرفض نوع التأديب الذي تضمنته المرحلة الثانية، ولكن الدكتور الكورث براون E. Elkworth Brown لا يقره على هذا الرفض

والسير جون آدمز يخرج من اعتباره النوع الأول من التأديب؛ ويترك النوع الثاني لمحك الحياة يظهر ما فيه من زيف أو صلاح؛ وينظر في النوع الثالث فيرى أن مفهومه يقتضي من المعلم أن يكظم شخصيته وأن يلفها في مدارج النسيان، فيقول إن هذا غير ممكن الحدوث، فشخصية المعلم تظهر بالرغم منه وتترك أثرها في التلاميذ، وهو لا يستطيع بحال ما أن يخلّص ما يلقيه على تلاميذه من أصباغ شخصيته. ويزيد السير جون آدمز على ذلك فيقول إن دعاة هذا المذهب الجديد يعترفون بصحة ما يقول

والذي نقصد إليه من كل هذا هو أن نقول إن الحكم الذاتي مظهر من مظاهر المدرسة الحديثة في التربية

(*) Self-Government in Schools

وهنا يحسن أن نتحدث قليلاً عن تاريخ المسألة

فليس من شك في أن النظام يجب أن يتوفر فى التعليم المدرسى حتى يمكن لهذا التعليم أن يحقق الغاية المقصودة منه . لذلك كان النظام فى المدرسة أمراً على جانب كبير من الأهمية فى نظر الجميع . ومن ثمّ أخذت المدرسة تهدف إلى أن تبعث فى جوها نظاماً مباشراً immediate orderliness ، مما أدّى فى كثير من الأحيان إلى إهمال الغرض التربوى المقصود تحقيقه عن طريق النظام . ولكن ازدياد الاهتمام بالأفراد ولا سيما الأطفال ، ومطالبة المدرسة بإخراج تلاميذ قادرين على أن يشاركوا فى التعاون الاجتماعى فى هذه الحياة ، وتسلط علم نفس صحيح على المدارس ، كل هذا دعا إلى ترك هذا النوع من التأديب الذى لا يهدف إلا إلى مجرد النظام إلى نوع من التأديب آخر يتحقّق من ورائه نمو الشخصية والتعاون الاجتماعى الثابت فى المدرسة

وقد تجلت تلك النزعة فى أمريكا فى عدة محاولات ترى إلى زيادة حرية الأطفال ومسئوليتهم فى مباشرة نواحى نشاطهم فى الفصل وفى خارج الفصل . ولقد ظهر أثر هذه النزعة أول ما ظهر فى الكليات والجامعات فيما يُعبر عنه باسم نظام الشرف honor system ثم ظهر بعد ذلك فى الحكم الذاتى فى المدارس العالية high schools ، وأخيراً ظهر فى المدارس الأولية

* * *

على أنه يحسن بنا هنا وقد أشرنا إلى نظام الشرف فى معرض كلامنا الوجيز عن تاريخ الحكم الذاتى أن نتحدث بإيجاز شديد عن الفرق بين هذين النظامين كما هما فى أمريكا . فنقول إن وجود نظام الشرف فى المدارس العالية يرجع إلى أنه لما كان طلبة هذه المدارس يتمتعون من قديم بقسط وافر من الحرية فى مباشرة وجوه نشاطهم المختلفة فى داخل هذه المدارس وفى خارجها ، فإن المدرسين والمباشرين لأمور هذه المدارس قد وصلوا هذه الحرية التى يتمتع بها الطلبة بنظام الامتحان وجعلوها تنفذ إليه لتدبر أمره . وكان الدافع لهم على ذلك أنهم لمسوا صعوبة التوفيق بين كبح نزعة الغش فى الامتحان والعمل — فى نفس الوقت — على خلق اتجاهات صحيحة وعادات صحيحة فى نفوس الطلبة

هذا عن نظام الشرف . أما الحكم الذاتى فى المدارس غير العالية فقد دفع إلى اصطناعه غرضان هما بدون شك أوسع مجالاً من الغرض الذى دفع إلى اصطناع نظام الشرف : فالغرض الأول هو إيجاد وسيلة لتعليم علم الحكم المدنى civics تكون أكثر موضوعية وإيجابية ، والغرض الثانى هو العمل على أن تنمّى حكومة المدرسة الروح الاجتماعية عند كل طالب .

فهذا هو الفرق بين النظامين .

على أن هناك نظاماً آخر يحسن أن نتحدث قليلاً عما بينه وبين نظام الحكم الذاتى من فروق ، ونعنى بهذا النظام نظام العُرفاء prefect system . فبين هذا النظام ونظام الحكم الذاتى ثلاثة فروق رئيسية : فالفرق الأول يتلخص فى أنه فى نظام العرفاء يخوّل السلطة عددٌ قليل من التلاميذ كبار السن بينما أن السلطة فى نظام الحكم الذاتى يخوّلها التلاميذ جماعة ، والفرق الثانى يتلخص فى أن أعمال العرفاء prefects تنفيذية أكثر منها تشريعية ؛ فمعظم القوانين التى ينفذونها ليست من تشريعهم . والفرق الثالث يتلخص فى أن هؤلاء العرفاء يختارون من قبل ناظر المدرسة ويكونون مسئولين أمامه بدلاً من أن يكونوا نائبين عن الجماعة .

وهنا يحسن بك أن تسألنى عن كنه الحكم الذاتى لأقول لك إنه تخويل جماعة من التلاميذ سلطة كاملة لمباشرة شئون حياتهم المدرسية كلها أو بعضها .

وهذا الحكم الذاتى لم يصطنع عبثاً ، بل لتحقيق أغراض يُرجى تحقيقها من ورائه .

فمن هذه الأغراض تنمية القدرة على التعاون co-operation ونحن نعرف أن للتعاون أهميته العظيمة فى الدول الديمقراطية ، بل وفى ذلك المحيط الفسيح الذى نسميه بالمجتمع الكبير Great Society والذى نحن جميعاً أبعاض منه . وإن المجتمع الحديث

مدين بتقدمه بل وباستمرار وجوده لهذا التعاون الذي يربط بين أفراده بعضهم وبعض .

ومن هذه الأغراض تدريب التلاميذ تدريباً عملياً على أن يكونوا مواطنين مستنيرين ، فإن دروس علم الحكم المدنى لا يمكن أن تغنى هذا التدريب العملى بحال ما . فالكتب لا تستطيع بحال ما أن تطلعنا على دقائق آلة العمل الحكومية أو على الطريقة التى تدير بها الأعمال ، وإنما نطلع على كل هذا بالتجربة وبالتجربة فقط .

وهناك غرض ثالث هو فى الحقيقة غرض علاجى . وبيان ذلك أن هناك أطفالاً ينزعون إلى أن يشعروا المجتمع بوجودهم وإلى أن يحملوه على الاعتراف بأهمية هذا الوجود ، فإذا لم يجد نزوعهم هذا متنفساً يخرج منه إلى عالم الواقع والحقيقة فإنه يتحول إلى عقدة نفسية تحمل هؤلاء الأطفال على أن يقفوا من قوانين المجتمع موقف العداء ، وبذلك تكون حياتهم العاطفية صراعاً مشتجراً بينهم وبين أولى الأمر . وعلى ذلك فيجب أن يوحى إلى هؤلاء المتمردين على المجتمع أن القانون ليس جماعاً من أوامر ونواه تملى عليهم وتفرض ، وإنما هو وسيلة تصطنع لتحقيق مثل عليا يطمح إليها أفراد المجتمع ويشاركونهم هم فى هذا الطموح . وليس كالحكم الذاتى وسيلة لغرس هذا فى نفوس هؤلاء المتمردين

فهذه أغراض ثلاثة رئيسية يرجى تحقيقها عن طريق الحكم الذاتى . وهناك أغراض أخرى ثانوية يصح أن نذكر بعضها .

فمن هذه الأغراض الثانوية تدريب التلاميذ على ضبط النفس ، وذلك لأن فى تدبيرهم لأمورهم المدرسية تدريباً لهم على ضبط أمورهم النفسية ؛ ولأن فى تدبيرهم لأمورهم المدرسية تقوية لعزيمتهم وشحذاً لإرادتهم ، ولا بد لضبط النفس من قوة فى العزم ومضاء فى الإرادة

ومن هذه الأغراض الثانوية أيضاً تقوية إحساس التلاميذ بقيمة النظام وأهميته . ومنها كذلك تدريب التلاميذ على سياسة الغير .

(للحديث بقية) السيد يعقوب بكر

من أزهار الشر

لشارل بودلير

عروج

ها أنتِ يا روحى ترفرفين هفافةً فوق الوهاد والغدران ، والجبال والغابات ، والسحب والبحار ، وفيما وراء الشمس والأثير ، والأفلاك النائية المرصعة بالنجوم .

وإنك لتعبرين الفضاء العميق ، مرحةً فى شهوة عارمة يعجز عنها البيان ، كسابح ماهر غشيه الذهول فى لجة الماء .

فلتحلقى بعيداً ، بعيداً ، عن الجيف المنتنة . واصعدى إلى الهواء الأعلى ، لتتطهرى من أدرانها ، واحتسى النار الساطعة التى تغمر الآفاق المتألقة ، كخمر إلهية صافية .

طوبى لمن يستطيع أن ينطلق بجناح قوى إلى السموات المشرقة الساجية من وراء الهموم والآلام العريضة التى تنوء بأعبائها الحياة القاتمة !

طوبى لمن كانت خواطره كالقنابر تطير عند الصباح إلى السماء حرة طليقة !

طوبى لمن رنّق(1) فوق الحياة ، وأدرك بلا عناء لغة الزهور والكائنات الصامتة !

ترجمة

عثمان على عسل

(1) رنق الطائر حلق دون أن يحرك جناحيه

حكم فى الجنحة رقم ٨٤ عسكرية الجمالية سنة ١٩٤٣ بحبس مسعد جرجس توفيق ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه وغلق المحل ثلاثة أيام لعرضه للبيع زيتاً بأزيد من التسعيرة

حكم فى الجنحة رقم ٤٧ عسكرية بولاق سنة ١٩٤٣ بحبس رزق مرزوق لمدة ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه وغلق المحل ثلاثة أيام لامتناعه عن بيع أرز وزيت بالسعر المحدد

حكم فى الجنحة رقم ٩٠ عسكرية مصر الجديدة سنة ١٩٤٣ بحبس حسن أحمد عبد الفتاح ستة شهور مع الشغل وتغريمه خمسين جنيها وجلده عشرين جلدة والغلق لمدة أربعة أيام لبيعه لحماً بثلو بأزيد من التسعيرة

الحضارات القديمة
فى القرآن الكريم

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ٤ —

الحضارة اليهودية

ينسب اليهود إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . وقد أقام أجدادهم فى مصر من عهد يوسف بن يعقوب إلى عهد موسى بن عمران ، وهم قلة تدين بالتوحيد الذى دعا إليه إبراهيم أبو الأنبياء ، وكانت الوثنية فى ذلك العهد غالبة على الأرض ، ولها دول قوية فى مصر وغيرها من الأقطار . وقد لقى اليهود ما لقوا فى مصر من الذل والهوان فى سبيل دينهم ، إلى أن أراد الله تعالى إظهار دين التوحيد فى الأرض ، وإقامة حضارة جديدة تقوم على ذلك الأساس الذى يرفع من شأن الإنسانية ، وينقذها من الجهالات التى كانت تتردى فيها على عهد الوثنية . وقد بشر الله تعالى بهذه الحضارة قبل أن تظهر على الأرض بقرون ، تعظيماً لشأنها ، وتفضيلاً لها على الحضارات الوثنية التى سبقتها ، لأنها ورثت محاسن تلك الحضارات ، وخلت من الطغيان والجهل الذى كان يشوه تلك المحاسن ، وقد جاء ذلك التبشير فى أواخر أيام بنى إسرائيل بمصر ، فقال تعالى فى الآيات : ٤ ، ٥ ، ٦ من سورة القصص (إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)

فالذين استضعفوا فى الأرض هم اليهود ، والقرآن الكريم حين يرثى لاستضعافهم فى الأرض ، ولما لقوه من الذل والهوان فى مصر ، وحين يبشر بأن الله يريد أن يمن عليهم ويجعلهم الوارثين فى الأرض ، لا يحدث عنهم فى ذلك بعنوان أنهم يهود ، لأن مثل هذا لا يَعْنِى القرآن الكريم بشىء ، وكل الناس عنده سَوَاسِيَةٌ من هذه الجهة ، وإنما يحدث عنهم بعنوان أنهم شعب موحد ، يريد الله أن يجزيهم خيراً على ما لقوه من الاستضعاف فى سبيل توحيدهم ، وأن يمن على الموحدين من اليهود وغيرهم بأن يجعلهم الوارثين فى الأرض ، فتقوم لهم دول تغلب عليها ، وتظهر لهم حضارات لا تذكر الحضارات التى سبقتها بجانبها . وقد صدق الله تعالى وعده ، فأخذ التوحيد يقوى شيئاً فشيئاً من عهد قيام دولة اليهود فى فلسطين ، وجعل يناضل الوثنية ويغزوها فى معاقلها ، وقد رفع لواءه فى ذلك النضال أولئك الأئمة الذين اختارهم الله تعالى لهداية البشر ، وكان أعظمهم فى ذلك الجهاد الشاق ثلاثة لا تزال آثارهم فيه باقية إلى عصرنا ، وهم : موسى صاحب الشريعة اليهودية ، وعيسى صاحب الشريعة النصرانية ، ومحمد صاحب الشريعة الإسلامية ، وأتباع هذه الشرائع هم الظاهرون الآن فى الأرض ، وحضارتهم هى الحضارة العليا ، وهى المثل الأعلى فى عصرنا

وقد بلغت الحضارة اليهودية أوج مجدها فى عهد داود وسليمان عليهما السلام ، فارتقت فيها العلوم والآداب وتقدمت الصناعة تقدماً عظيما ، ونهضت التجارة نهوضاً كبيراً . وكان لسليمان عليه السلام أساطيل عظيمة تمخر عباب البحار ، حتى وصلت غرباً إلى بلاد الأندلس ، وجنوباً إلى بلاد اليمن وجنوب أفريقية . وقد لمت سماء فلسطين فى عهده بما أقامه فيها من المدن العظيمة ، وبما شيده فيها من بيوت العبادة ، وبما رفعه فيها من الصروح والقصور الجميلة ، وهو مع هذا رسول من رسل الله الكرام ، وإمام من أولئك الأئمة الذين بشر الله بهم فى أواخر أيام بنى إسرائيل بمصر

ولا شك فى أن ظهور هذا كله فى عهد سليمان أعظم رد على أعداء التوحيد ، لأنه يبين خطأهم فى ظنهم أن التوحيد يجافى الحضارة وينأى عن مظاهر الجمال التى تمتاز بها عن البداوة ، ولا يتسع لها صدره كما يتسع لها صدر الوثنية

وفيه أيضاً أعظم رد على أولئك المتنطعين فى الدين ، وهم الذين يتفقون فى ذلك الظن الخاطئ مع أعداء التوحيد ، فيظنون أن الدين ليس إلا خشونة وتقشفاً ، وأن المثل الأعلى فيه هو الزهد فى زينة الحياة الدنيا ، لا يفرقون فى ذلك بين الزينة التى أحلها الله تعالى وبين الزينة التى حرمها على عباده

وقد نوه القرآن الكريم بمظاهر الحضارة التى تمت فى عهد داود وسليمان فى آيات كثيرة منه ، فمن ذلك قوله تعالى فى الآيات (١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣) من سورة سبأ « ولقد آتينا داود منا فضلاً ، يا جبال أوبى معه والطير ، وألنا له الحديد ، أن

اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحاً إنى بما تعملون بصير . ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور »

ومن ذلك ما ورد فى شأن بلقيس ملكة سبأ ، وفى شأن الصرح العجيب الذى بناه لها ، وذلك فى الآيات (٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤) من سورة النمل « قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون . فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو ! وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين . وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلى الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ، قال إنه صرح ممرد من قوارير ، قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين »

وكان هذا الصرح العجيب آية فى فن البناء . ذكر المفسرون أنه كان قصراً من الزجاج الأبيض كالماء ، وقد أقامه على ماء يجرى تحته ، وألقى فيه السمك والضفادع وغيرها من دواب البحر ، ثم وضع سريره فى صدر المجلس وجلس عليه ، فلما جاءت بلقيس قال لها : ادخلى الصرح ، فحينئذ حسبته لجة عظيمة من الماء ، وكشفت عن ساقيها لتخوضها إليه ، فقال لها : إنه صرح ممرد من قوارير ، فحينئذ سترت ساقيها ، وآمنت بعظمة ملك سليمان عليه السلام

ولكن اليهود أدركهم فى حضارتهم من الغرور ما أدرك غيرهم ، حتى زعموا أن ما وصلوا إليه فيها كان إيثاراً من الله لهم فركنوا إلى ذلك الغرور حتى سلبهم الله ما كانوا فيه من العز ، وسلط عليهم غيرهم من الأمم ، وإلى هذا يشير الله تعالى فى الآية (١٨) من سورة المائدة (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير »

وقد أضافوا إلى ذلك الغرور القاتل الاستكانة للرؤساء حتى اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله فسار قادتهم وراء أهوائهم ، ولم يكن لهم من أمتهم رقيب عليهم ، وكان لهذا أثره أيضاً فى القضاء على حضارتهم

(يتبع)

عبد المتعال الصعيدى

ابن خلدون

مؤرخ الحضارة العربية

للأستاذ عيسى محمود ناصر

حياة ابن خلدون قصة من أعجب قصص الخيال ، ومغامرة لم تتح لكثير من عظماء الرجال ، لا يزال تراثه فريداً فى بابه بين آثار التفكير الإسلامى ، وما يزال يحتفظ بقيمته وروعته ، ويتبوأ مكانته بين التفكير العالمى . وها نحن أولاء بدأنا نتنبه إلى رجالنا لنقدرهم قدرهم ، وندرس آثارهم ، ونحفظ لهم مكانتهم ، ونحيى ذكراهم ، بما أدخل من نظام المسابقات التى تعقدها وزارة المعارف لطلبة السنة التوجيهية فى مواد الدراسة المختلفة ، وكان منها دراسة مقدمة ابن خلدون . ونحن بهذا النظام نحيى ذكرى فيلسوفنا الاجتماعى الكبير ، وقد مضى عليه أكثر من ستمائة عام ، وهو على قدمه يجب أن يكون مثالاً عالياً لجميع الشباب ، وأن يقرءوا مقدمته القيمة ، فهى ثروة لا تقدر فى تراث البيان العربى ، والتفكير العربى . على أن لابن خلدون صلة خاصة بنا نحن المصريين ؛ فلقد كانت له بمصر جولات ونظريات ، كما كانت مصر مثوى إقامته ، وإن كانت تونس تفخر به لأنها مستهل ولادته . وحسب ابن خلدون فخراً أنه السابق إلى وضع مبادئ علم الاجتماع الذى ما زال موضع إعجاب الغرب وتقديره . ولست فى هذه العجالة متعرضاً لنشأته ، وتاريخ حياته فهى فى متناول الطلبة . على أنه عنى بنفسه فوضع ترجمة له دونها بقلمه ، وصور فيها كثيراً من أطوار حياته ، وما تقلد من مناصب ، وما قام من رحلات ومغامرات .

بدأ ابن خلدون مؤلفه التاريخى العظيم وهو فى الخامسة والأربعين من عمره ، وقد نضجت مباحثه ومطالعاته فى الكتب والحياة بعد أن قطع نحو ربع قرن يخوض معترك السياسة متقلباً فى خدمة القصور والدول المغربية يدرس شئونها ونظمها ، ويستقصى سيرها وأخبارها متغلغلاً بين القبائل البربرية يدرس طبائعها ، وأحوالها ، وتقاليدها فى الحياة العامة والخاصة ، وقد أعانه على ذلك ذهنه الخصب المتوقد ذكاء ، وعزلته فى قلعة « سلامة » على حدود تونس الغربية فلقد كانت عزلة مباركة موفقة لبث فيها أربعة أعوام نعم بالاستقرار والهدوء المستمر بعيداً عن غمار السياسة والدسائس السلطانية والمخاطر التجوالية والحربية ، وقد استغرق فى كتابة مقدمته خمسة أشهر ثم نقحها وهذبها بعد ذلك ثم شرع بعد إتمامها فى كتابة تاريخه ، وقد رفعه إلى السلطان أبى العباس المغربى ، وأنشده قصيدة طويلة يشيد فيها بسيرته وأعماله ، ويستدر عطفه ورعايته ، وينوه بكتابه يقول فيها :

وإليك من سير الزمان وأهله عبراً يدين بفضلها من يعدل
والله ما أسرفت فيما قلته شيئاً ولا الإسراف منى يجمل

ولقد كان ابن خلدون أعظم سياسى ومفكر عرفته إفريقية والأندلس فى القرن الثامن الهجرى .

ابن خلدون فى مصر

غادر ابن خلدون تونس لينتظم فى ركب الحجاج ، ولكنه لم يحقق تلك الغاية فقد نزل القاهرة ليقضى أيامه بمصر فى هدوء ودعة واستقرار ، وكانت القاهرة يومئذ موئل التفكير الإسلامى فى المشرق والمغرب ولبلاطها الشهرة الواسعة فى حماية العلوم والآداب ، فبهرت ابن خلدون ضخامة القاهرة وعظمتها كما بهرت كل من رآها من أعلام المشرق والمغرب فوصفها بقوله : « فرأيت حاضرة الدنيا ، وبستان العالم ، وإيوان الإسلام ، وكرسى الملك » ولقد كان المجتمع القاهرى يعرف الكثير عن شخصه وسيرته ، ولا سيما مقدمته التى أذاعت فضله ، فأقبل عليه العلماء والطلاب من كل صوب ، وقد كان ابن خلدون محدثاً بارعاً ، رائع المحاضرة ، يخلب ألباب سامعيه بمنطقه ؛ هذا إلى فصاحته وجمال صورته ، فتقرب من السلطان الظاهر برقوق .

وإنه لمنظر شائق ذلك الذى يقدمه إلينا ابن خلدون عن مجلسه ، ومن حوله العلماء والكبراء يشهدون الدرس الأول حيث يقول : « وانفض ذلك المجلس ، وقد شيعتنى العيون بالتجلة والوقار »

عين ابن خلدون قاضياً لقضاة المالكية تنويهاً بذكره ، وإعلاناً لشأنه ، وقد ثارت حوله عاصفة شديدة بسبب الحقد والسعاية ، وقد بين ما كان يسود جو القضاء فى مصر فى ذلك الحين من جهل وفساد فى الذمة ، وأنه حاول إقامة العدل الصارم المنزه عن كل شائبة ، وما زال أمره بين جزر ومد إلى أن عزل من منصبه ، وغادره موفور الكرامة والهيبة ، فانقطع إلى الدرس

والتأليف إلى أن أذن له السلطان بأداء فريضة الحج ، ثم عاد بطريق البحر حتى القصير مخترقاً الصعيد بطريق النيل فوصل القاهرة

وليس في حياة ابن خلدون في هذه الفترة التي قضاها بمصر ما يستحق الذكر سوى سعيه إلى عقد الصلات بين البلاطين القاهري والمغربي ، فهو يصف المهاداة بين صلاح الدين ، وبني عبد المؤمن من ملوك المغرب ، وبين الناصر قلاوون وملوك بني مرين ، ويصف الهدايا المصرية والمغربية فبدأ سلطان تونس بإهداء خيل مسومة وسروج ذهبية

لبث ابن خلدون بعيداً عن منصب القضاء أربعة عشر عاماً وكان بالفيوم يعنى بقمح ضيعته التي يستحقها من الأوقاف ، فاستدعاه السلطان إلى القضاء ، فلما استقرت الأمور بمصر استأذن في السفر إلى بيت المقدس فأذن له ؛ فشهد المسجد الأقصى وقبر الخليل وبعض الآثار ثم عاد من رحلته إلى القاهرة .

ثم وردت الأنباء بانقضاض « تيمورلنك » بجيوشه على الشام واستيلائه على حلب في مناظر هائلة من السفك والتخريب فروعت مصر ، وهرع « الناصر فرج » بجيوشه لملاقاة الفاتح التتري ورده ، وقد اشتبك جنود مصر بجند الفاتح في ظاهر دمشق في معارك شديدة ثبت فيها المصريون ، وبدأت مفاوضات الصلح بينهما ، ولكن خلافاً دبّ في معسكر المصريين ، ومؤامرة دبرت لخلع السلطان ؛ فترك السلطان دمشق لمصيرها ورجع إلى القاهرة . وهنا تتجلى لنا نزعة مؤرخنا الفيلسوف في مغامراته ، فقد رأى أن يعتصم بالجرأة وأن يغادر جماعة المترددين إلى معسكر الفاتح فيستأمنه على نفسه ومصيره ، ويصف لنا ابن خلدون ذلك اللقاء بقوله : « ودخلت عليه « المراد تيمورلنك » بخيمة جلوسه متكئاً على مرفقه ، وصحاف الطعام تمر بين يديه ، فلما دخلت عليه انحنيت بالسلام ، وأومأت إيماءة الخضوع فرفع رأسه ، ومد يده إلى فقبلتها » ، وتحدث الفاتح طويلاً إلى المؤرخ ، وحدثه المورخ بأنه كان يسمع به ، ويتمنى لقاءه منذ أربعين سنة ، واستطاع ابن خلدون أن يقنع الرؤساء بالتسليم ، وفتحت دمشق أبوابها للفاتح فنجت من بطشه . وقد قدم ابن خلدون إلى الفاتح هدية هي : مصحف رائق ، وسجادة أنيقة ، ونسخة من البردة وأربع علب من حلاوة مصر الفاخرة . فوضع « تيمورلنك » المصحف فوق رأسه ثم سأله عن البردة ، وذاق من الحلوى ووزع منها على الحاضرين ، وقد أنكر مؤرخ مصري معاصر هو المقريزي هذه الرواية ، وانضم إليه ابن إياس المؤرخ المصري

وما لبث ابن خلدون يولى منصب القضاء في مصر ويعزل ست مرات بسبب كيد خصومه ودسائسهم له إلى أن توفى سنة ثمان وثمانمائة هجرية وقد بلغ نيفاً وسبعين سنة من حياة باهرة حافلة بجليل الحوادث ورائع التفكير والابتكار ، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر بالقاهرة المعزية وهي يومئذ من مقابر العظماء والعلماء

قضى ابن خلدون في مصر ثلاثة وعشرين عاماً كانت أقل مراحل حياته حوادث وإنتاجاً ؛ فقد عاش بعيداً عن شئون الدولة السياسية بعد أن لبث بالمغرب ربع قرن وهو يتجرد من ثوب السياسي المغامر ليتشح بثوب العالم المقتدر . على أنه لم يستطع أن ينشئ له بمصر مدرسة يطبعها بطابعه وآرائه ومناهجه وذلك راجع إلى روح النفور والخصومة ، فقد سبقه إلى مصر حكمه على أهلها بأنهم قوم يغلب عليهم الفرح والخفة والغفلة عن العواقب ، على أن ابن خلدون كان يحظى بتقدير فريق قوي من الرأي العام المصري المفكر وعلى رأسه العلامة المقريزي الذي تأثر بنظرياته تأثراً كبيراً كما يظهر أثر ابن خلدون في اعتماد بعض أكابر الكتاب المعاصرين عليه والاقتباس من مقدمته وتاريخه ، ومن هؤلاء القلقشندي صاحب صبح الأعشى

أثر ابن خلدون الفكري والاجتماعي

اعتبر ابن خلدون التاريخ علماً يستحق الدرس لا رواية تدون وتقرأ ، فانتهى به البحث إلى وضع نوع من الفلسفة الاجتماعية ، وكتب مقدمة مؤلفه التاريخي لتكون تمهيداً يقرأ على ضوئها التاريخ ، وتفهم دقائقه فجاءت وحدة مستقلة من الابتكار الفائق تسجل مذهباً جديداً في فهم الظواهر الاجتماعية وتعليلها ، وفي فهم التاريخ ونقده وتحليله ؛ فهو يحاول أن يتتبع المجتمع في جميع أطواره منذ نشأته وبداوته إلى استقراره وانتظامه في المصر والدولة وتردده بين الضعف والقوة والفتوة والكهولة والنهوض والسقوط مقسماً موضوعه هذا إلى ستة فصول كبيرة هي :

١ — العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض

٢ — العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل

٣ — الدولة العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية
٤ — العمران الحضري والبلدان والأمصار
٥ — الصناعات والمعاش ووجوه الكسب
٦ — العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه

وهذا التقسيم يشهد بتفوق هذا الذهن العبقري وطرائقه وقوة تدليله وجدله. وأجود هذه الفصول (الفصل الثالث) وهو خاص بالدولة والملك وخواصهما مبيناً أن للملك طبائع وللدولة أعماراً كالأشخاص، فهو يقدر لها ثلاثة أجيال في الغالب، ويقدر الجيل بأربعين عاماً متأثراً في هذا التقدير بما ورد في القرآن الكريم عن بني إسرائيل حين فقدوا عصبيتهم وكانوا عاجزين فعاقبهم الله بالتيه في قفار سيناء أربعين سنة ليخلق منهم جيلاً جديداً يقوى على المطالبة والتغلب. وفي هذا الفصل تبدو نظرياته الاجتماعية وتحليله للمجتمع، كما يدل ذلك على براعة ذهنه.

ثم يتناول الدولة وتحولها من البداوة إلى الحضارة في الفصل الرابع، وبيان أطوارها المختلفة، وأثر الموالي والمصطنعين في هذا التطور. ثم يتناول الملك والإمامة والخلافة واختلاف الآراء في شأنهما ومذاهب الشيعة والخطط الدينية من القضاء والعدالة والسكة، ثم الوزارة ودواوين الأعمال والجباية والرسائل والشرطة وقيادة الأساطيل ورسوم الملك والحروب ومذاهبها والمكوس ونظم التجارة، ثم يتحدث عن البلدان والأمصار ونشأة المدن واختلاف ظروفها من خصب ورفاهية وجدب وقفر وتفاوت في الغلات والصناعات واللغة

من هذا كله تتبينون أن ابن خلدون مخترع هـذا العلم وصاحب الفضل الأول في ابتكاره وهو ما يسميه « بالعمران والاجتماع البشري» فقد أفاض في هذه النظريات مصحوبة بالشواهد مترابطاً بعضها ببعض، وكل ما خلفه أسلافه لمحات مبعثرة ضئيلة. على أن هذا العلم الذي استحدثه ابن خلدون اتخذ من حيث مادته وموضوعاته مكانة بين علومنا الحديثة في الاجتماع وفلسفة التاريخ والنظام السياسي والاقتصاد السياسي. وفي دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى العربية ما يؤيد ذلك

أما أسلوبه فخاص يتميز به ابن خلدون من غيره في العرض والتنظيم، كما أن مقدمته تمتاز بطرافة موضوعاتها وروعة أسلوبها الأدبي الذي يجمع بين البساطة وقوة التعبير، ودقة التدليل، وحسن الأداء والتناسق. والمقدمة مثل حسن للفصاحة المرسلة والعرض الشائق المنظم؛ وذلك على الرغم مما يطرأ أحياناً من ضعف في العبارة وضعف في التأليف وغرابة في التعبير وشذوذ في اللفظ يرجع إلى نشأة ابن خلدون البربرية. وأسلوبه في تاريخه أقل درجة من أسلوبه في مقدمته. على أن لهـذه المقدمة تأثيراً قوياً في الكتابة في أوائل العصر الحاضر إذ كانت الأسلوب الأمثل لكتاب الصحف والمجلات في بدء النهضة الحديثة، فقد نشرت المقدمة لأول مرة في مصر سنة ١٨٥٧م فرفعت الأسلوب الأدبي في مصر والشرق من السجع وتكلف البديع والزخارف اللفظية التي تستهلك المعاني، إلى الاسترسال في الكتابة فكانت نموذجاً يحتذى ويضرب به المثل، فارتقى النثر الفني والعلمي إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن من الإجادة والإتقان ...

(البقية في العدد القادم)

عيسى محمود ناصر
المدرس بمدرسة الفيوم الثانوية

السيطرة على الجو

للأديب عبد المنعم محمد الزيادى

[السيطرة على الجو من مستلزمات الفريق المهاجم إذا أراد أن يوطد هجومه ويجعله ساحقاً ماحقاً . كما أنها من مستلزمات الفريق المدافع إذا أراد أن يجعل دفاعه فعالا ناجحاً . ولـكنها للفريق المهاجم ألزم وأشد نفعاً لأنه بدونها يتعرض لأشد الأخطار وأتساها من خصمه الذى يملك السيطرة على الجو . وقد تسنى للحلفاء أن يقهروا جيوش رومل لأنهم سيطروا على الجو كما أنهم الآن على وشك الهجوم الحاسم على تونس فى شمال أفريقيا بعد إذ استكملوا سيطرتهم على الجو أو كادوا . وفى هذا المقال أحاول أن أضع صورة للقتال الذى يجرى بين القاذفات والطاردات من جهة ، وبين القاذفات ومراكز الدفاع المضادة للطائرات من جهـة أخرى ، قبل أن تتم السيطرة على الجو لأحد الطرفين .]

كشاف أمريكى جديد

يعتمد قائد القاذفة بجانب قنابله على عامل المفاجأة وهو سلاح لا يقل فتكا عن أى سلاح آخر فهو إذ يقطع الأفق بمعدل خمسة أميال فى الدقيقة لا يترك لخصمه سوى أمد قصير يأخذ فيه حذره ، ثم هو يتخذ من الليل والسحاب حجاباً دون رؤيته ، فضلاً عن أنه ليس فى الاستطاعة سماعه حتى بأشد أجهزة الإصغاء حساسية على بعد أكثر من ثمانية أميـال . كل ذلك لا يترك سوى أمد قصير للطاردات لتقوم للقائه ، وللمدافع المضادة لتتأهب له ، وللمدنيين ليلجأوا إلى المخابىء ، كما أنه من الصعب — أو على الأقل كان دائماً من الصعب — على الأنوار الـكاشفة أن تجده فى الضباب أو السحاب ، ولو كان فوق الرؤوس . غير أن هناك طرازاً جديداً من الـكشافات يستعمله سلاح الإشارة فى الجيش الأمريكى أحدث انقلاباً عظيما فى الأسلحة المضادة للطائرات . وتتراوح المساحة التى تقع فى دائرة عمله بين ٥٠ و ٧٥ ميلاً . كما أنه لا يستطيع أن يكتشف الطائرة فى حدود هذه المساحة فحسب ؛ بل إنه يستطيع أن يحدد مكانها على ارتفاع بضع مئات من الأقدام . وعندئذ — بفضله — يمكن أن تصوب المدافع المضادة حتى لتدرك قنابلها الطائرة المختفية فى قلب الضباب الكثيف . ويشبه الـكشاف الجديد جهاز الأنوار الباحثة ؛ إلا أنه يرسل بدلاً من شعاع النور شعاعاً كثيفاً من أمواج الراديو ، فإذا ما التقت هذه الأمواج بجسم صلب (الطائرة) ارتدت مسرعة من نفس الطريق الذى اتخذته فى ذهابها إلى ذلك الجسم . وبقياس الزمن الذى اتخذته الأمواج فى رحلتها ذهاباً وإياباً ، بالإضافة إلى الاتجاه الذى ارتدت منه يمكن أن يحدد مركز الطائرة بالضبط . وكل ذلك تفعله الآلات بطريقة أوتوماتيكية . وليست المدافع المضادة وحدها هى التى يمكن تصويبها إلى جسم الطائرة بفضل ذلك الـكشاف ، بل يمكن توجيه المطاردات كذلك إلى مكان القاذفات المهاجمة وذلك بالتزامها اتجاه أشعة الـكشاف

الـكشاف الحالى

ولا شك أن هذا الـكشاف الجديد سيأخذ مكان أجهزة الإصغاء والتحديد والأنوار الـكاشفة المستعملة الآن . فجهاز الإصغاء والتحديد الحالى يستطيع أن يلتقط أزيز الطائرة على ارتفاع أقصاه ثمانية أميال ولـكن له عيوب خطيرة . فالرياح العالية تقطع عليـه خط سيره ، كما أن حفيف الأشجار وزئير الأمواج المتكسرة على الد... ور أو الشاطىء ، وأصوات أبواق السيارات — حتى ولو كانت دونه أميالاً — تشوش على المستمعين . ويشبه جهاز الإصغاء المستعمل اليوم مجموعة من مكبرات الصوت مثبتة فوق حامل ، وتقع على بعد بضع مئات من الياردات من مركز البطارية المضادة للطائرات . وعلى هيكل الجهاز الذى فى الإمكان إدارته فى أى اتجاه بواسطة عجلات يدوية ـ توجد أربعة أو أكثر من الأبواق لاقطات فى بؤرة كل واحدة منها « ميكروفون » حساس ينقل الاهتزازات الآتية خلال المـكبرات إلى مكان الاستماع الرئيسى . وتستطيع « آذان » الآلة أن تحدد الاتجاه الذى يصدر منه الصوت كما تعطى المسافة التى تصدر عنها الاهتزازات . وعلى بعد نحو مائتى قدم تجاه جهاز التحديد توجد إشارات كهربائية تفضى إلى مراكز الأنوار الـكاشفة . وهناك تجد مجموعة من المدادات التى تبين بطريقة أوتوماتيكية الزوايا التى يجب أن توجه الأنوار بموجبها حتى تضىء جسم الطائرة التى حدد الجهاز ارتفاعها . وهناك أيضاً ضوابط كهربائية ترتفع وتنخفض وتوجه المصابيح الـكاشفة . وإذ تتأرجح مؤشرات المدادات ، يدير جنود المصابيح الـكاشفة العجلات اليدوية فيجعلون أشعة المصابيح على الطائرة مهما تحركت أو تحولت .

وتبلغ قوة الشعاع الكشاف نحو ٨٠ مليون شمعة ، وله عدسة عاكسة نصف قطرها ٦٠ بوصة ؛ وهو يرسل فى الليل الصافى نوره إلى مسافة سبعة أميال . والمصابيح الكشافة قائمة على حوامل من المطاط المتين يغذيها مولد كهربائى (دينامو) على هيئة مركبة . فإذا أريد حماية هدف مهم ضربت بطاريات الأنوار الكشافة نطاقها حوله على مسافة من البعد تكفى لأن تجعل الطائرة المغيرة دائماً فى متناول أية مجموعة من هذه المصابيح .

المدافع الرماية العالية

تستطيع المدافع المضادة الثابتة التى قطرها ٤٫٢ بوصة ، والتى توضع عادة حول الموانئ الهامة أو مستودعات الذخائر أو الأهداف العسكرية الثابتة الأخرى ؛ تستطيع أن تقذف القنابل التى تزن الواحدة منها ٣٣ رطلاً إلى ارتفاع ٣٠٫٠٠٠ قدم بمعدل ٢٥ قنبلة فى الدقيقة . وتقذف المدافع المتحركة التى قطرها ثلاث بوصات قنابل زنة الواحدة منها ١٨ رطلاً إلى ارتفاع ٢٠٫٠٠٠ قدم بصورة فعالة ؛ فإن الحد الأقصى لمدى هذه المدافع يفوق هذا الارتفاع بكثير ؛ إلا أن الإحكام عندئذ يقل فى دقته . وتستعمل المدافع الصغيرة التى قطرها ١٫٥ بوصة والتى تطلق ١٢ قنبلة فى الدقيقة ، ومدافع الماكينة (المدافع الرشاشة) المضادة للطائرات ضد الطائرات التى تطير على ارتفاع منخفض .

ويمكن للمدافع التى قطرها ثلاث بوصات أن تجر بمعدل ٥٠ ميلاً فى الساعة بواسطة مركباتها، وتحتاج فقط إلى عشر دقائق لإعدادها للطلقة الأولى منذ وقت وصول البطارية إلى مركزها . وإذا أمكنت رؤية الطائرة المغيرة حين تقع على مرمى المدفع الحديث المضاد للطائرات ، فالإصابة حاسمة فى هذه الحالة . وتجعل آلة التوجيه مدافع البطارية الأربعة متجهة أوتوماتيكيا نحو هدفها ولو كانت الطائرة تسير بسرعة ٣٠٠ أو ٤٠٠ ميلاً فى الساعة . وآلة التوجيه هذه عبارة عن صندوق مساحته نحو ثلاثة أقدام مربعة ، وهو مركب على قاعدة متحركة على بعد بضع مئات من الأقدام من البطارية ، وبجانبه محدد الارتفاع وهو اسطوانة طولها ستة أقدام وقطرها نحو قدم ، وهو كذلك مركب على قاعدة متحركة . ويتولى أمر محدد الارتفاع ثلاثة رجال . فمنذ اللحظة التى تظهر فيها طائرات العدو يجعل اثنان من الجنود — أيديهما على العجلات وأعينهما إلى السماء — منظار محدد الارتفاع على الهدف دائماً . وخلال هذا المنظار يرى الجندى صورة مزدوجة للطائرة المغيرة ، فواجبه عندئذ أن يحرك عجلته اليدوية حتى تنطبق الصورتان بعضهما على بعض ، وعند ما يتم له ذلك يسجل محدد الارتفاع المسافة التى تفصله عن الطائرة . وهذه المعلومات ترسل أوتوماتيكياً إلى آلة التوجيه . وفوق آلة منظاران آخران يشرف على كل منهما عامل ، وهذه أيضاً يحتفظ بها متجهة نحو الهدف بواسطة عجلات سهلة الإدارة فتسجل سرعة الطائرة العمودية والأفقية . أما صندوق التوجيه فيحتوى فى داخله على عداد يحول نتيجة محدد الارتفاع ونتيجة منظاريه إلى مقدار الزوايا التى تصوب بمقتضاها المدافع إلى الهدف . وتساعد آلة التوجيه كذلك على إعداد خزان القذائف فى المدفع أوتوماتيكياً كى يهيئ القنابل لتنفجر على مسافة مناسبة بقرب الهدف ، إذ يجب أن تنفجر القنبلة على بعد ٢٥٠ قدماً من هدفها حتى يمكن أن تسبب شظاياها خسائر ذات بال فى الطائرة المغيرة .

(البقية فى العدد القادم)

عبد المنعم محمد الزيادى
معهد الصحافة بالجامعة الأمريكية

عاطفـــة الأبوة

فى « أعاصير مغرب »

للأستاذ إدوارد حنا سعد

فى ديوان « أعاصير مغرب » الذى صدر حديثاً للشاعر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد موضع لبعض الدهشة ، فقد وجدنا فيه الشاعر الذى نعرف ، ولكننا لم نجد فيه العاشق الذى نعهد . فإن من الصعب أن يقال إن الأستاذ العقاد الذى كان يقول فى دواوينه الأولى — عند ما يلمس خداع العشيقة أو يشك فى ذلك — :

جمالك سم فى الضلوع وحسرة   ترد مهاد الصفو غير ممهد
إذا لم يكن بد من الكأس والطلا
    ففى غير بيت كان بالأمس مسجدى

والذى كان يقول :

ما كنت يوماً بالأنام موكلاً   فأعد منهم من يضل ويرشد
لو كنت نوحاً لم تفدك سفينتى   إن ابن نوح كان فيمن ألحدوا

هو نفسه الذى يقول فى ديوانه الجديد :

أعفيك من حلية الوفاء   إنك أحلى من الوفاء
خونى فما أسهل التقصى   عندى وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل فى حسابى   فقدك يا زينة النساء

وقد حاول بعض الكتاب أن يرد هذا الاختلاف إلى أساسه، فقال الأستاذ كامل الشناوى فى الأهرام : « إن العقاد الشاعر كان ينظم وعين العقاد الكاتب الفيلسوف ترمقه وترعاه » .

ولكنى أرى أن الأستاذ الشناوى قد أخطأ المحز وكان الأولى به أن يقول إن عاطفة الأبوة كانت ترمق العقاد وترعاه ، بل كانت تسيطر عليه وتملى نفسها على شعره إملاء

فقد بلغ الأستاذ العقاد سن الخمسين وهى السن التى تهدأ فيها فورات العشق وتبدأ النفس تستعرض مواكب الذكرى وتحن إلى الحياة الوادعة وإلى حنان الأسرة . ويكون هذا الشعور - أقوى ما يكون - فى النفس المصرية التى انغرس فيها من قديم معنى الأسرة وتعلقت بها

وقد يصادف الإنسان فى هذه السن عشيقة يجد فى سنها أو حركاتها أو سماتها ما يوقظ فيه من جديد عاطفة الأبوة ، فيختلط الحب الجنسي وهو أثرة مستترة ، بالحب الأبوى وهو إيثار صريح ، فيكون منهما مزاج نقرأه الآن فى أعاصير مغرب

فهذا الديوان الفذ حافل بأوصاف الطفولة وتدليلها وألعابها وحلواها إلى حد يلفت النظر :

غريرة تسأل ما الحبُّ ؟
بنيتى هـــذا هو الحبُّ

ضمى ثغيرك يا بنية وابعثى منه الأمل

بنية ما صنعت ، جزاك ربى   بحب فى مشيبك مثل حبى

ماذا تخبىء طفلة   رقت ورق قناعها

ما شب من نار طبخ   نا فوقها حلوى الهوى

فكم لعبة وقعت من يديـ   ـك وقوعاً أرى القلب لا يشتهيه

إنى أشاهد كيف يفـ   ـطم فى القلوب رضاعها

فإذا تركنا هذه الأبيات الحافلة بصور الطفولة طالعتنا أبيات فياضة بعاطفة أبوة صادقة دافقة

يقول الشاعر الكبير

أحسبنى الأكبر حتى إذا   عانقتنى ألفيتنى الأصغرا

وهو بيت صادق جميل فى وصف عناق عشيقين ، ولكن ليس أجمل منه ولا أصدق فى وصف عناق الأب لابنته ، حين يجد نفسه وقد عادت فيها من جديد صغيرة فياضة بتيارات الحياة

ويقول :

تم الكتاب وألقت باليراع يدى
    وضمن الطرس إحساسى وإدراكى
ما لى به غير مسرور ولا كلف   ألا يسر يميناً نبتها الزاكى
ضيعت فيك مسراتى فما بقيت   لى من مسرة شىء غير لقياك

فهل من محض المصادفة أن يقول الأستاذ هذا الكلام الآن ، والآن فقط وهو الذى قضى أكثر من ثلاثين عاماً يكتب وينظم ويعتز بشعره وكتابته إلى أبعد حدود الاعتزاز

لشد ما غيرت هذه العاطفة الجديدة من نفس أستاذنا الكبير!

إن كان خلفك للوعود تدللاً   بمكانك الغالى لدى فأخلفى
ما كنت أتبعه القطيعة آنة   هو منك واعجبى يزيد تشوفى

وقد هداه إلهامه الصادق فقال :

تحديت الحياة فهل جزتنى   بهذا الحب عن ذاك التحدى

نعم تحداها بوحدته وانصرافه عن الزواج أو هذا الجانب

على الشاطىء

وهيفاء تهفو إليها القلوبُ   ويشرق منها ضياء الجمالْ
لهـــا رقة الزهر في غصنه   إذا داعبتـه رياح الشَّمالْ
أقامت على الشاطىء العبقريّ   كإحدى عذارى الرؤى والخيالْ
وللريح عربدة في المياهِ   والموج وسوسة في الرمالْ

يحدثها الموج عن سره   وما سره غير حب قديمْ
يكاد النسيم يطير بهـــا   إذا وقفت في مهب النسيمْ
وتحسبها العين بعض الضياء   فتخشى من النظر المستديمْ
ولو لم تحطها قيود الحياةِ   لطارت هناك وراء السديمْ

تعربد في الثوب أيدي الرياح   وتوشك ... لولا نداء الحياهْ
تطير إليهـــا طيور المنى   وتحنو عليها طيوف الضياءْ
عليها من الأفق سمت الجلالِ   وفيها من البحر معنى الصفاءْ
وفيها من النور سر الحياة   وفيها من الليل سحر الخفاءْ

من منغصات الحياة كما قال همام لسارة وهو يحاورها

وما دمنا بصدد بحث أدبي ، فإني أبيح لنفسي أن أبتعد عن المجاملات التافهة فأقول إن هذه العاطفة التي يقول علماء النفس إنها قد تنصرف إلى الحيوانات الأليفة ، تبدو في أعاصير مغرب ، ففيه عشرون صفحة عن « بيجو » الكلب الأمين الذي أحس الأستاذ لموته بالحزن (الوجيع)

فإذا فهمنا غزليات العقاد الجديدة على هذا الضوء الجديد استطعنا أن ننفذ إلى جمالها الباطن . وإذا كانت الطفلة قد عقت أو كادت ، فإن للأستاذ الكبير أبوة روحية على الكثيرين من تلاميذه وعشاق أدبه المنتشرين في كل مكان تقرأ فيه اللغة العربية ، وهم لا يكنون للأستاذ إلا الحب الصادق والوفاء الخالص . ويسرني بل ويشرفني أن أكون من بينهم .

(اسكندرية) ادوارد حنا سعد

أهيم غراماً بهذا الجمال   وأقبس منه ضياء الحياهْ
أرى فيه كل أماني الشباب   ترفرف من حول تلك الشفاهْ
أعانق من شغفي طيفـــه   وألثم من لهفـــتي رؤاهْ
يرى فيه جسميَ سر الحياة   وروحي ترى فيه روح الإلهْ

دعيني أغنيك شعر الصبا   وأعزف لحن الهوى والغزلْ
دعيني أنام بروحي على   فراش النهود ، ومهد المقلْ
ولا تحرميني سلاف العناقِ   ولا تمنعيني رحيق القبـلْ
وكوني كما شاء فن الخيالِ   وبدع الفنون ، ووحي الأملْ

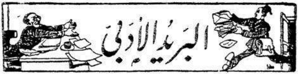
هناك لدى الأفق عند الغروب   يطير جناح ، ويمضي شراعْ
وتشدو الرياح ، وفي شدوها   أسًى كامن وجوًى والتياعْ
وتحتضر الشمس . .يا للأسى   لهذا الجمال الحزين المُضاعْ
على وجنتيها شحوب الفراق   وفي مقلتيها دموع الوداعْ

وغابت عن الأفق شمس المغيبِ   وقد ذوَّبت قلبها في الشفقْ
كأني أرى دم قلبي يسيل   كأني أرى مهجتي تحترقْ
ليفجعني أن يغيب الضياء   ويحزنني أن يجيء الغسقْ
ستأتين يا شمس عند الصباح   فهل نلتقي ثم لا نفترقْ ؟!

وألقى المساء ظلال الدجى   على الكون أشباح جن تحومْ
فليس على البحر ضوء يلوح   ولا في السماء تضيء النجومْ
فقامت تودعه في سكونٍ   وراحت إلى بيتها في سهومْ
كأني بها كوكباً حائراً   توشحه في السماء الغيومْ

وعدت إلى غرفتي باكياً   لأقضي ليل الأسى والنُّواحْ
أحدث نفسي حديث الجوى   وأنشد قلبي نشيد الجراحْ
وأرنو إلى عابرات الدجى   وأصغي إلى نائحات الرياحْ
وأمضي إلى البحر عند الصباح   فهل «هي» عائدة في الصباحْ ؟

(القاهرة) ابرهيم محمد نجا



أين « الرسالة » ؟

طلبتها من الباعة مرة ومرة . ثم ظننت أنها مرت بمدينتنا دون أن تعطيها نصيبها من محصول الفكر ، فبعثت وكتبت إلى القاهرة والأسكندرية فقيل لى : إن « الرسالة » الحبيبة لم تصدر !

يا سبحان الله ! وأخيراً بشرنى الصديق الأستاذ الخضرى أمين مكتبة دمنهور أن « الرسالة » جاءت إلى المكتبة ، ولكنها تنذر بأن هذا العدد للمشتركين فقط لأن الورق ...

وهنا صحت قبل الدكتور المبارك « ليتنى من المشتركين »

لقد ذقنا أزمة الدقيق وأزمة البترول وأزمة السكر ، فهل تصدقنا يا صاحب الرسالة إن قلنا إنه لم تحز فى نفوسنا ولم تبلبل خواطرنا أزمة كأزمة « الرسالة » ؟

يقول الدكتور المبارك : « أ كان يجب ألا تقتصر « الرسالة » على الأدب الصرف لتجد من يسأل عنها حين تحتجب » ؟

وهذا حق ! إنها ضريبة الأدب تدفعها « الرسالة » كما يدفعها كل أديب ينصرف لأدبه فلا يجد من يسأل عنه

وإذن « فأزمة الرسالة أزمة الأدب اليتيم الذى لا يسأل عنه أحد حين يغيب » !

فهل تنحرف « الرسالة » عن هدفها لتجد من يسأل عنها ؟

إن لسان الحال يقول :

لقد صددنا كما صددتم فهل ندمتم كما ندمنا ؟

والجواب عند « الرسالة » وعند صاحب كل رسالة ...

وأخيراً فالأزمة كما يقول الدكتور المبارك ليست أزمة الورق فهو موجود ! وإذن فالقضية قضية الأدب والأدباء ، و « سنعرف طاقة الأدب فى اجتياز هذه المحنة العاتية » .

عبد المعطى المسيرى

حول رسالة الجامعة

فى مساء السبت ٢٩ يناير ١٩٤٣ أقيمت بكلية الآداب مناظرة اشترك فيها فريق من الأساتذة والطلاب ، وشهدها مئات من شباب الجامعتين الأزهرية والفؤادية وغيرهم ، وكان موضوعها : (الجامعة أدت رسالتها) . والذى ألاحظه أن هناك خطأ فى موضوع المناظرة ، أو قل إن نزعة من نزعات العجلة والتسرع هى التى أوحت إلى لجنة المناظرات بكلية الآداب عرض هذا الموضوع السابق لأوانه على بساط البحث فى مناظرة عامة، إذ لم يمض على الجامعة زمن يصح لنا بعده أن نتساءل : أنجحت الجامعة فى رسالتها أم لم تنجح ؟ ... لقد صدر القانون بإنشاء الجامعة المصرية الفؤادية فى مارس سنة ١٩٢٥ ، فلم يمر عليها إلى اليوم إلا نحو سبعة عشر عاما ، وهى كعام واحد فى حياة فرد من الأفراد ، ولا يُسأل الفرد بعد عام من نزوله إلى ميدان الحياة أنجح أم لا ؟ فيجب أن ننتظر على الجامعة عشرات السنين حتى تؤدى فى سبيل غايتها ما يذكر فيحكم عليه ، وإلا فهى لا تزال تعد العدة وتأخذ الأهبة ولم تسر فى الطريق بعد ، وإن خُيِّل لقوم أنها أدت أشياء وأشياء !... وإذا كانت الجامعة الأزهرية قد مر عليها ألف عام ولا يزال هناك من يخشى أن تقام مناظرة عنوانها : « هل أدى الأزهر رسالته ؟ » فماذا يكون شأن الجامعة الفؤادية وهى بالنسبة للأزهر فى العمر لا تزال ذلك الوليد الجديد ؟

بل إننا لم نتفق بعد على رسالة الجامعة المصرية ، ففريق يقول إن رسالتها تحرير الفكر ، وفريق يقول بل التقدم العلمى ، وفريق يقول بل بث الأفكار والأخلاق وأصول الاجتماع ، وفريق يقول بل التخصص للتوسع فى دراسة طائفة من العلوم ، وفريق وفريق ... فكيف بنا نتساءل عن نجاح الجامعة فى رسالتها وهى لم تعرف بعد ما هى تلك الرسالة ؟ ...

نعم إن الجامعة قد اتخذت الأسباب والمظاهر الجامعية ، فهناك كليات فخمة ، وأقسام مختلفة ، وشهادات متنوعة ، ومدرجات ومحاضرات وأساتذة وعمداء ... ولكن هذا كله مقدمة وعدة للبدء فى العمل وللأخذ فى أداء الرسالة ، فكيف نسبق الزمن ، ونحكم على الشيء قبل أن يوجد ، أو على الأقل قبل أن يتم منه جانب ذو بال ؟ ...

أحمد الشرباصى

جامعة الأسكندرية

فى يوم الإثنين المبارك ٨ من فبراير ١٩٤٣ يشرف جلالة الملك المعظم بالزيارة جامعة فاروق الأول بالأسكندرية ، وهى الجامعة التى افتتحت فى بدء هذا العام الدراسى ، فتعود إلى الأذهان ذكرى جامعة الأسكندرية القديمة التى ظلت تحمل لواء العلم

في العالم المتمدن إذ ذاك زهاء قرنين من الزمان . وبمناسبة زيارة المليك للجامعة الحديثة نحب أن نتحدث عن تاريخ الجامعة القديمة

أنشأ هذه الجامعة بطليموس سوتر في حي البروكيون بجوار القصر الملكي على نسق مدارس الفلاسفة الأثينيين ، وكانت الغاية من إنشائها أن تجذب إليها النابهين من العلماء والمفكرين والشعراء والأدباء ، وكان الطلاب المقيدون بها معفين من المصروفات بل تنفق الجامعة عليهم

ولم تلبث الأسكندرية وجامعتها أن جذبتا العلماء النابهين والأدباء وكبار الشعراء حتى إن الأسكندرية غدت في القرن الثالث قبل الميلاد أكبر مركز علمي في العالم وخاصة في الطب والجغرافيا والرياضة والفلك والأدب — وقد كانت الجامعة مؤلفة من عدة مدارس : مدرسة للطب والتشريح والجراحة ، ومدرسة الرياضيات والفلك ، ومدرسة القانون والفلسفة ، وكان يتصل ببنائها بستان كبير وحديقة لعلم النبات ومرصد ومن هذا نرى أنها كانت جامعة من أكبر الجامعات

وبجوار الجامعة أنشئت المكتبة التي كانت أكبر مكتبة عرفها العالم القديم . بدأ في إنشائها بطليموس سوتر (٣٠٥ — ٢٨٣ ق م) ، ولكن لم يتم تجهيزها ويكمل نظامها إلا على يد خلفه بطليموس فيلادلفوس (٢٨٣ — ٢٤٥ ق م) وقد كانت تحوي المكتبة أجل مؤلفات العالم القديمة من مصرية إلى عبرية ويونانية ؛ ويغلو كثير من الكتاب في تقدير عدد الكتب التي كانت بالمكتبة غلواً يصعب على العقل تصديقه ، ولكن هذه المبالغة إن دلت على شيء فإنما تدل على الكثرة ، ويقدر بعض المؤرخين عدد الكتب بـ ٤٩٠ ألف كتاب وهو رقم يصعب تصديقه مما دعا بعض المؤرخين إلى أن يفترضوا أن المكتبة لم تكن مرجعاً للعلماء والباحثين فحسب ، ولكنها كانت مكاناً لنسخ الكتب وبيعها . هذا وجدير بنا أن نذكر أن هذه الكتب القيمة كانت طعاماً للنيران أثناء النزاع الذي أودى بالدولة البطلمية وجعل مصر جزءاً من الأمبراطورية الرومانية .

وقد كان من أكبر علماء الأسكندرية الفلكي العظيم إراتستين الذي كان نابغة زمانه في الأدب والفلك والجغرافيا ، وقد كان عميد دار الكتب وإليه عهد بطليموس الثالث بتربية ابنه ولي العهد . وقد أصبحت هذه سنة ، فكان أمناء المكتبة يعلمون أولياء العهد

ومن أكبر العلماء المصريين في العهد البطلمي مانيثون ، وإليه عهد بطليموس الأول بكتابة تاريخ مصر ففعل وكتب تاريخاً دقيقاً وافياً ، ومن الأسف أن معظمه قد ضاع ، على أن ما بقي ظل يكون معلوماتنا عن تاريخ مصر القديم حتى القرن التاسع عشر ، وبهذا العمل العظيم صحح مانيثون ما كان يدرس خطأ من تاريخ مصر القديم في الجامعة

أبو الفتوح عطيفة

إجابة

طالعت قول الأستاذ الفضال السيد محمود عزت عرفة ، وأرجو إذن السيد الكريم في قولي لماذا ننسب السلطة Salade إلى الملح Sel ولا ننسبها إلى السليط الذي معناه الزيت أو الزيت الجيد وهو الأقرب ؟

القرونة — بفتح فإسكان — اسم نوع من الطعام من عجين وسمن ، وكان في زمن الجاهلية ، وهي ما يقال له الآن « مكرونة » Macaroni

(رميد)

أين السليط من « السالاد »

في الكلمة التي نشرناها تحت هذا العنوان (ع ٥٠٠) من « الرسالة » سقط سطر كامل من إحدى الفقرات ، فأخل ذلك بالمعنى الذي نقصده ، وأوجد في الكلام تناقضاً لعله لم يخف على الكثيرين من القراء ...

فقد بينا أولاً انقطاع العلاقة في المعنى بين اللفظين العربي والإفرنجي (سليط و Salade) ؛ ثم أوردنا في إثبات انقطاع العلاقة اللفظية بينهما أيضاً ، ما جاء هكذا : كما يتضح لنا انقطاع العلاقه اللفظية بينهما أيضاً ، إذ عرفنا أن كلمة Salad الإنجليزية و Salade الفرنسية ، و Salata الإيطالية بمعنى ملح »

وواضح أننا لا نقصد مطلقاً القول بأن هذه الألفاظ تؤدي معنى ملح ، بعد أن سبق فبينا — في نفس الكلمة — حقيقة معنى (السالاد) وتركيبه عند القوم ... وإنما صحة الكلام بعد إثبات الساقط منه تكون هكذا : « ... و Salata الإيطالية القديمة كلها مشتقة من اللفظ اللاتيني القديم Sal بمعنى ملح »

محمود عزت عرفة

حكم في الجنحة العسكرية ١٤٦١ المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٦ — ١ — ٩٤٣ بحبس عبد العاطي محمد هواري صاحب مخبز بالفشن ثلاثة شهور شغل وغرامة ٥٠ جنيه والمصادرة والغلق ثلاثة أيام لأنه ورد خبزاً لسجن الفشن يقل وزن الرغيف عن الوزن القانوني